

الأخضر

المرضى الرما في فيلكتس سارلين
رغم الاستاذ عدا كميل

فتمس وقنا طويلا في هدوء ، واطمئنان دون
أن تقاسي تلك المشاغل القاسية التي كانت
حتى اليوم تهز نفسها هزا عنيفا ، وكأنها
خرجت من خطر مميت

نعم . لقد أخرجتها جان ، تلك الفتاة
الصغيرة ، بغنائها الساحر من هذه التماسه ،
من ذلك الظلام السحيق . فقد اقتحمت
جان طريق المجد بسرعة فائقة حتى بلغت
السماء جاذبة وراءها أسرتها

وتمت الأم قائلة : ابنتي !

ثم صمتت وقد انتابها فرح عظيم أمام
هذه السعادة وكأنها أمام معجزة ، وكل

وفي يوم الزفاف ، وفي الساعة العاشرة
عاما سقطت لوسي صريخة قلبها . وفي صمت
كصمت القبور ، وسكون كسكون الليل ؟
أسلمت تلك المرأة الجهنمية روحها لبارئها ؟
وما نسبت أن تستغفر الله لتلك التي غدرت
بها وزوجت !

عبد الوهاب محمد

كانت والدته جان واقفة أمام صوان
الملايس وقد تملكها منذ لحظة سرور عظيم
وهي تنعم النظر في تلك الكنوز الكدسة
بعناية . كانت تشعر بالراحة والسعادة
فابتدأت تغني

وأمسكت بأحد أقنعة جان ، وعندما
أشرته أمامها استولى عليها التفكير وسكنت
عن الغناء . كانت تقول لنفسها : هذه
الديتلا الفاخرة ، هذا القميص الصغير
الباركش كان بالنسبة إليهما منذ سنوات قليلة
ثروة طائلة تجعلها في غنى عن الكد والعمل
وفي حماها وفلاذات أ كبادها من ألم الجوع

فحدد للزفاف ميمات معلوم ، وصنع جهاز
للمرس رائع جميل ، وأرسلت الدعوات
للأهل والأصدقاء . وبدأت آيات البشر
وأمارات النبط على عجا العروسين
السמידين ، فكانا ينتقلان في خفة الطائر
الريح من هنا وهناك ، يستمدان لليوم الموعود
والنسيم المنشود

تغنى الأغنية الرائعة التي نالت بها ابنتها
النجاح الذي في الليلة السابقة في دار
الأبرار : فقد كانت القاعة تهر من الضيف
العاصف . كانت الأم تحفظ عن ظهر قلب
كل جزء من تلك الأغنية ، فقد سمعها
مئات المرات عندما كانت جان تحفظها بينما
هي يجالسها تنصت إليها . وهامى ذى الآن
تغنى تلك الأغنية ؛ على أن ذلك لم يدم طويلا
إذ قرع باب الغرفة قارع ...

فقلت : من القادم ؟ ادخل !

فأجاب الأستاذ برجير وهو يدخل :

— ها أنذا !

ونظر الرجل حوله دهشا ثم قال :

أين ابن الأنسة جان ؟

فقلت : ليست هنا

فقل : ليست هنا ! آه ! يا الأولادك

الغائبات العظيمات ! ونظر بعينيه وقد بدا

على وجهه ما يقصد ثم قال :

إنهن يغلقن أبوابهن في وجه المدير الفني

دون أي حرج

ففتطرت إليه الأم دون أن تفهم ما يريد

وقالت :

أو كذبت يا أستاذ برجير أن ابنتي

ليست بالنزل

فقال الرجل ساخرا :

إذن من التي كانت تغنى منذ لحظة ؟

هذه السنين الأخيرة لم تكن في الواقع إلا
سلسلة لا تنقطع من المعجزات ؛ لقد تفتح
أمامهم عالم منير ، فميجرت الحجارة الضيقة
المظلمة ، والشارع المنير القدر الذي كانت
تغلن فيه حتى ذلك الوقت حيث أخرجت
إلى الدنيا أولادها وحيث رأتهم يشبون
ويخطون بخطواتهم الصغيرة . كذلك
استطاعت أن تهجر تلك المدينة الصغيرة
التمعة ، حيث كانت تحيا حياة خاملة بآسة
سجينة الهم والياس ؛ وبفضل ابنتها وغنائها
المجيب دخلت هذه الدنيا الباسمة خجولة
طامعة وكأنها في حلم . كانت تقول
لنفسها :

أيكفى الله هذه الأم كما كافأ ابنتها ؟

أيمكن أن يفرها على الدوام بفضلها وإحسانه ؟

لقد حصلت على أكثر مما كانت تحمؤ أن

تأمله . حصلت أولا على النجاح ثم على

المجد ، ولم تحمل على المال الوفير وحسب ،

بل إن أوروبا بأسرها تتكلم عن ابنتها

وأمر بكا تستدعيها

وشحكت الأم والتميص ذو الدنتلا

البيضاء لا يزال بين يديها . إن ابنتها جان

تردى أنظر اللابس كإحدى الأبرار ،

وبحلى رقتها الصغيرة الجواهر التي لا يعرفها

إلا الملكات

وشهدت الأم من أعماق نفسها ابتداء

يكن عندى الوقت الكافى لأغنى . وقدما
عندما كنت أعانى ألم الفقر كنت كثيرا
ما أغنى لأنسى مشاغلى وهمومى
واتسعت الأم قليلا ثم قالت :

نعم . فى ذلك الوقت كنت أسمر من
الآن . كنت أغنى لأجلب النوم إلى عيون
أطفالى . وكنت أغنى أثناء عملى المضى وأنا
جالسة أمام طست الغسيل الساعات الطوال
وضحكت ثانية وقد بدت على وجهها
علامم التفكير وهى تنظر إلى قيس جان
كان مدير المسرح أثناء ذلك يرمقها بعينه
ثم قل بصوت منخفض :

حسن ! آسف لأننى لم أحظ بمعرفتك
وسماع صوتك . ولو حدث ذلك لما قطعت
وقتا طويلا من حياتك أمام طست الغسيل
كان الرجل يتحنن تلك المرأة التى افتهما
الشيخة وحة قرأها صديرة الجسم تشبع فى
وجهها بمجملات خفيفة . دابة اللوز . ولكن
عينيها الدالمتين كانتا تنبشان بأن هناك نارا
هادئة تستمر فى جوفها . فهز كتفيه وقال
وهو يخرج من الغرفة
يا للخسارة !

بعد ساعة مما حدث كانت جان جالسة
أمام المرأة ووراءها أمها تصف شمرها
وتحدثها عن الحفلة التى ستذهبان إليها

فقلت : لم تكن جان ؟ وضحكت الأم ثم
أضافت : أنا التى كنت أغنى
وبدا على الأستاذ برجير الدهش وقال
وهو يهز رأسه :

أنت ؟ بلى لا أستطيع أن أصدقك !
وأكدت الأم له ما قالت وقد بدا عليها
الاضطراب
قال الأستاذ برجير :

بلى لا أحب منها أن تغلق الباب فى
وجهى إذا لم تكن تريد أن ترائى فى هذه
اللحظة . بلى مدير فنى بلغت الشيخوخة
فأنا أعرف هذه النزوات الغريبة ؟ بلى
أعرف ذلك الصوت الذى سمعته ، وعلى
ذلك لا يستطيع أحد أن يحددنى
فنظرت إليه الأم بعينيها الهادئتين وقالت
ببساطة :

إن جان ليست بالمنزل
وقد الرجل عادته وصمت مفكرا ثم
قال . دون تردد :

بلى لم أسمك قط تغنين . وكان يجب أن
أسمك يوما ما مادمت كثير التردد على
هذا المنزل

فقلت : بلى لم أغن منذ طويل ؛ وفى
الأعوام التى كانت تدرس فيها جان كنت
أفزع بالإصماء إليها . كان كل اهتمامى منصبا
على هذه الغناء وعلى باقى أفراد الأسرة فلم

معا . قالت الأم :

سوف يكون هناك أرسيدوق وعدد من
الأمراء . ما أعظم ذلك !

وألفت الأم نظرة إلى جان تتمسكها السرور
الغامر عندما رأت المشلا البيضاء كالعاج
يحيط كنفى ابتها بصورة قاتنة . كانت تنعم
النظر في وجه ابتها الدقيق في الرآة وقد
بدت عليها سعادة تخرج بها حشونة خفيفة .
كانت ترى عينها السوداء بين تلمعان تحت
جبهتها الأبيض النقي . كانت تتمسكها
السعادة وهي تشمر بحرارة شمر جان المتعش
الحى تحت أناملها . وحناء غمرها السرور
والاعتراف بالجميل فشادت تغنى ثابته بينما
كانت جاز جالسة كعائلة صغيرة نمت للعناء
أمها وهي تصفف شعرها

ودخلت الخادمة ففالت :

إن رئيس فرقة العزف يريد مقابلة
الآنسة

فقلت جان : فلينظر !

وعندئذ صرخ رئيس فرقة العزف من
الخارج قائلا :

كفى عن العناء يا جان . لماذا تتعبين
نفسك وتغنين دون وزن ؟ !

فانقطعت الأم عن العناء . ولم تحب جان
وسمع صوت رئيس فرقة العزف من الخارج
وهو يقول :

ومع ذلك فهنا غناء رائع يا جان . عندما
أسمع أى صوت من فلك لا أستطيع أن
أمنع نفسي من القول بأن هذا رائع
ورأت الأم في الرآة تغيرا على وجه جان
وقال رئيس فرقة العزف من الغرفة المجاورة
وهو دحش :

لماذا لا تحبينلى !

فقلت جان غاضبة وقد نقد شعرها
أرحوك تتركنى وشائى . إلتك تعرف
جيدا أننى لا أغنى
واستمرت نظرة إلى الأرض دون أن
ترفع رأسها

وأثناء هذه الثواني ظهر بين الرأتين شئ
لا يمكن تفسيره . ظهر وكأن بين
الأتنين قسلا مبهما . وفي الوقت نفسه
اندماج قوى جمع بينهما . وانتهت الأم عملها
بهدهو . وأخرجت من الغرفة في صمت

وفي السماء جلست الأم في القاعة الفاخرة
التي سيدهى بين أرجائها صوت ابتها .
وفريبا من القاعة كان الحديث يدور بين
المجتمعين في غرف مضاعة بالألوان اللامعة
حيث جلست جان يحيط بها الخاضعون
يقفون معها بالريح المتحمس واللىق الرخيص
كانت الأم حاسة مرتدية معطفا أسود
يحيط بها صورة مختار بينهما من . كانت
تستقبل كبار النجوم الذين كانوا يذبحون

ولست ابنتها . رأت أمامها فتاة صغيرة في
ملابسها الرائعة تروح ونجى غير هيابة ومع
ذلك فهي هي نفسها

وتمت الأم قائلة : « شبابي ! » وكان
شيئا في داخلها قد تحرق وتحطم إلى ألف قطعة

وارتفع صوت جان واضحا كيوم من
أيام الربيع . منسجها حارا كضوء الشمس
وكانت الأم نصفي إلى صوت ابنتها بالتباعد
أكثر من المعتاد وقالت لنفسها « هي أنا
هي أنا » وانتابتها رعشة حين أحست
ذلك الاحساس الغريب وهو أنها تسمع
نفسها . فاضطربت أفكارها وأصبح لا ير
في أذهنها غير تلك الكلمة « يا للخسارة ! »
رأت الأم أمام عينيها غرفة صغيرة مظلمة
يقبع منها الهواء الفاسد المخنوق الرطب
ورأت أطفالا صغارا . رأت أطفالها بين
الوسائد القذرة يصرخون وينادون أمهم
بأعين طالبين أن تدلهم . رأت نفسها
منحنية تحت قرن أسود يلفح وجهها بالبخار
المحرق المتصاعد من الطعام القذر الذي
تطهيه . رأت نفسها راكعة على ركبتيها
تنظف أرض الغرفة وقد أكل الصابون
أصابعها . رأت نفسها واقفة على حافة النهر
رافعة طرف رداءها تغسل الملابس بالماء القذر
الموخل وهي تنفض من البرد القارس .

أمامها تحية وإحلالا ومد لها الأرشيدوق
يده وعلى قمه اتسامة غامضة فردت عليه
تحيته . وقال لها أحد القادمين : كيف
لا نجسدين على أن لك بنتا كابنتك . ولقد
سنت خمس مرات أو ستا : ألا تفعمرك
السعادة الآن ؟ لقد كان هذا الإحساس
بالمجد يملؤها بالسعادة . كان كل ما تأمله أن
تقتلي القاعة بالساميين وكانت تقول لنفسها :
هل ستفوز جان بنجاح كبير ؟ وكانت كلما
خطرت يبالها عدة أفكار اضطربت قليلا
لأنها كانت ترغب رغبة حارة في أن ترى
نجاح ابنتها عظاما دائما

بيد أن اضطرابا غريبا كان يرداد تدريجيا
في أعماق نفسها . كانت تتردد على سمها
كدقات الساعة كلمة المدير الفنى حين قال
عنها « يا للخسارة ! » وقول رئيس فرقة
العزف « هذا رائع ! »

واردحت القاعة بالوافدين وامتلأت على
سمها بالسيدات الجميلات يزين أكتافهن
القراء الفاخر مرصعات ملابس غالية الثمن .
واقتربت جان من البيان بينما كانت أمها تتبعها
ينظراتها . كانت جان رشيقة متكبرة تتوجها
فتنة الشباب . وكان شعرها الأسود ورأسها
الصغير يتعكسان على الواجهة المرمرية
البيضاء فيبدو . نظرها حيا لا سا حرا . وفجأة
أحست الأم أنها هي التي على المسرح

رأسها أكابيل الجند الذي أحرقته بقوة صوتها
الجميل وبدأت كأنها مغترة بفنها وعندئذ قلت
الأم لنفسها :

هل هي سعادتي حياتي ؟ هل هي انزعجت حياتي
بتلك الشراعة القاسية التي يبدونها الأبناء
نحو أمهاتهم ؟ أم هي قد ردت إلى ما تقدمت
وحفظت لي ما لم أهتم بحفظه ، وهي الآن سني
من جديد حياة عظيمة من أجل أن اسمدي ؟
وخاة أحسست بأن عاملا خارقا قد ربطها
بابتها التي كانت تغني أماسها برباط وثيق .
وفي الوقت نفسه شعرت بأن بينها وبين ابنتها
هوة سحيقة . وعندما دوى التمدقيق في
القاعة كنهز حطم ما أمامه من سدود .
تمسكت الأم عاطفة قوية فاندفعت نصفق
وأثناء ذلك جاء الأرشيدوق وأخفى
أمامها قائلا :

لأنني أعرف جيدا ما يحول في هذه اللحظة
في قلبك كأم
ولكنه لم يكن يعرف

على كامل

رأت كل ذلك فرددت كلمة المدير الفتي
« لو كنت مررت من هناك » ولكن
لم يمر أحد . نعم لم تسمح الظروف فلم
يسمها أحد تغني كما سمحت لابنتها جان
فأكتشفت موهبتها

كان اضطرابها يزداد فتشمر بأبها في حاجة
لأن تملق بمقعداتها . قالت لنفسها : حياتي .
حياتي . قالت هذه الكلمة بقوة لدرجة أنها
تلفتت حولها لترى إن كان قد سمعها أحد .
إن ما يحدث عنه هذا الجمع الحاشد بحماس
كبير ويعجب به بحرارة كانت تملكه هذه
المرأة المجوز ولكنها جهلته بل أضاعته .
نعم أضاعته أثناء بؤس حياتها المضطربة .
أضاعته من أجل أن تقوم بأعمالها الحقيمة .
أضاعت نفسها وسط بخار الأطباق النعسة .
أما موسيقى نفسها الرائعة ، تلك الموسيقى
العظيمة التي كان سيسمها الناس بإعجاب
كبير فقد بعثتها على أرض الغرفة القذرة
وبين أمواج النهر اللامين الموحلة
ورفعت نظرها إلى ابنتها فرأيتها يعلو

